

اما الارمن فقد ذكر بعض مؤرخيهم عنهم انهم كانوا يذهبون الى الرها منذ لسقفة رابولا فيدرسون العلوم فيها. وعلى ما تحققت ان عددهم لم يأخذ بالازدياد الا بعد القرن الثالث عشر. ولهم كنيسة كبيرة ومدرسة ويقوم بامرهم اسقف من طائفتهم. وللارمن انكاثوليك ايضا كنيسة وعددهم نحو ٣٠٠

اما انكلدان فلم يكن لهم كاهن في الرها قبل سنة ١٨٩٩ فاول راع. بنة هناك الطبيب المذكور مار عبد يشوع خياط هو حضرة وطنيتنا القس يوسف قشا البغدادي فرسه خورياً عليها غبطة البطريرك مار يوسف عمانوئيل في اثناء رحلته الاخيرة ولا يزال لطانته هناك وقد شيد كنيسة وانشأ مدرسة ابتدائية ومقبرة - ومن جهدرا في خدمة انكاثوليك في الرها فاستحقوا شكرهم الآباء انكبوشيون فانهم منذ ثيف وثمانين سنة قد بذلوا الوسع في فلاحة كرم الرب وتهذيب النصارى وقد انشأوا لهم كنيسة جيمة يمان فيها قبر السيد مبارك يلائشه اليسوعي القاصد الرسولي على بلاد ما بين النهرين توفي بين سوريك وديار بكر ودُفن في الرها سنة ١٨٥٩. ويدير حضرة الآباء انكبوشين مدارس ابتدائية. وافية بمجايات الاهلين وتساعدهم في عملهم واهبات افرنسات من الرهينة الفونسية فيهدبن الفتيات الرهاويات بيرة ونشاط والاهلون مجمعون على فضلهم وحسن تربيتهم للاناث. وفي الحام لا اغفل ان اذكر الاهمية التي ستكون لهذه المدينة اذا انتهى اليها خط بندا الحديدي فيصليها قسم عظيم من الترقى الادبي والمادي. بظل الحضرة العلية السلطانية ان شاء الله

الفلاحة والاحراج اللبنانية

نظر لابل هنري لامس اليسوعي مدرس المتراية الشرقية في المكب الشرقى (تنته)

٢ مزدوعات شق

تكرر هنا ما سبق لنا قوله لن الغاية من بحثنا الحاضر ليست تأليفاً في الفلاحة او في النباتات التي تزين لبنان والمواليد النباتية متوفرة فيه لما خص به هذا الجبل من الدوائر المنطقية والطبقات المتباينة واختلاف التركيب الجيولوجي والمواقع من قمم وادوية

وغير ذلك (١). والقصد من هذه البذة ان ندون بعض الملحوظات المفيدة نسندها الى

تعاليم التاريخ والى نتائج علم الجغرافية

اننا لا نكرر ما اصاب لبنان من الحاسر بتجرده عن غاباته القديمة الا انه لا يجوز القول بان الجبل قد خصبه وثرته الارضية بدعوى ان الزراعة اليوم لا تأتي بالادواح المأمرة. والحق يقال ان بعض الميون قد نضبت وان السيول وغيرها من دواعي الحراب سحت بسم كبير من التربة الزراعية وبرزت صخوراً جرداء لا يمكن فلاحتها. لكن الجبل في ما سوى هذه الامكنة لا يزال طيب الثرى صالحاً للزراعة. ألا ترى مثلاً ما يناله لبنان من حاصلات الكرم والتوت والتبغ التي تعود على اهله بالمكاسب الطائلة وقد كانت مدة من مرافق الجبل الخاصة به. وان كانت هذه موارد الثروة قد خفت فلا تثريب على الارض اللبنانية وانما تغيرت فقط احوال سوقها التجارية ولعل ارباب الزراعة في لبنان لم يصرفوا نظرهم الى تحسين طرق زراعتها على الاساليب المستحدثة. مثال ذلك زراعة الكرم فان لبنان يراقبها اي مراقبة وترى اليوم اصحاب الشركات الالمانية في جهات حيفا قد سبقت اللبنانيين في استثمارها

ولا غرو فان عصرنا هذا عصر التقدم وقد اصاب الفلاحة من ذلك نصيب كبير فلا يد اذن من استعمال الاساليب التي اختبرها العلماء منافعها لثلا يذهب شغلنا سدئ بزاحمة الغدير. فما قولك مثلاً في جند اليابان لو تزلوا ميدان الرغى وفي ايديهم القوس والنشاب لمحاربة الروس المتسلحين بالبنادق وهم يطلقون عليهم المدافع. فكذلك الفلاحة فان لها اليوم ادوات تسهل طرائقها وتوفو غلاتها اضعافاً كثيرة ومع هذا ترى الاهلين لا يسمون في اتخاذها ويمجرون على آثار اجدادهم في اساليبهم الحثة التي شاعت بينهم قبل الفين او ثلاثة الاف سنة. مثال ذلك عصر الزيت فان اللبنانيين يستخرجونها في معاصرهم كما فعل الفينيقيون. اليس هذا شططاً وكيف يستطيع

الاهلون بعد ذلك ان يلوموا الزراعة ويشكروا قلة ارباحها

هذا ويؤخذ من دروسنا السابقة ان لبنان منذ الطور التاريخي لم يختلف في هوائه

(١) فليراجع كتاب المسير جوره في النباتات القديمة. وله فصل في نبات بلاد الشام عروماً

ونبات لبنان خصوصاً (ص ٢٢٤-٢٢٦)

اختلافاً يُذكر وإن أمطاره لم تكن اذ ذلك باوفر منها في عهدنا مهبا زعم الزاعم ليثبت خلاف ذلك

وغاية ما يمكن التسليم به ان الامطار مع اتساع الاحراج قديماً كانت مقسمة على كل انحاء لبنان تقسيماً نظامياً يعم فصول السنة فيدوم زمانها اكثر دون ان تتوقف بذلك كمية مياهها . وهذا ايضا ضرب من الحدس لا يمكن ان نحكم بصحته قطعياً - وعلية يسوغ القول بان النبات اللبناني هو اليوم كما كان سابقاً الا اجناساً قليلة . فن ذلك البُردي (papyrus) الذي ينبت بوفرة حتى اليوم على مقربة من بحيرة الحولة . وعلى رأينا انه كان ينبت في الاجيال الغابرة في اودية الجبل الحارة الكثيرة المياه وعلى ضفاف الانهار ومصايفها وذلك لما كانت غابات لبنان باسقة تشرح فيها سباع الحيوان كالأسود والفيلة وتروح في انهارها التلييح كما سيأتي (١)

ومن النباتات المنسوبة الى لبنان شجرة الألبان او الكندر وهذا الرأي تراه مكرراً في اسفار الكتبة من اهل القرون الوسطى لكنه بلا سند وانما هو مبني على وهم لغوي فزعموا ان لبنان معناه الألبان لتوافق اسمها في اليونانية (Albanos) كلاً لم ينبت لبنان قط شجيرة اللبان التي هي من خواص اليمن وضواحيه . على ان هذا الجبل غني بغروس أخرى واشجار نقلت اليه فسانلها بعد تاريخ الميلاد على ما نظن . منها المشمش المعروف بالبرقوق (٢) والبرتقال وقصب الكَر . ومما جاءنا من امركة التبغ والصيبر . وقد دخل ايضاً لبنان نباتات حديثة العهد مختلفة الاجناس الا ان كثيراً منها بعد برهة من الدهر تضعف وتفقد خواصها الاصلية لاختلاف التربة عليها او بالحري لجمل الاهلين بتربيتها . وما يصح قوله اجمالاً ان لبنان يصلح لنمو اكثر النباتات والاشجار بحيث يضحى كحدائق غناء وبساتين قحاة . جامعة لثبات نبات المصمور . والسبب في ذلك اختلافات طبقات الجبل وتباين مواقعهم . وهذه لمصري منحة فريدة تكرم بها الحائز على لبنان فلو انتفع بها الاهلون لأغنتهم عن شكواهم من عمق الجبل وضوولة غلاته

*

وقد ذكرنا آنفاً الصيبر او التين الشوكي . وغاية ما ينتفع به الناس انهم يتخذونه

(١) راجع الكتاب السابق ذكره (ص ١٣٩٠)

(٢) ويدل على ذلك اشتقاقه من اللاتينية

كساج لبيوتهم او يأكلون ثمره التّفه . ولو دروا لامكنهم ان يتعملوه لفوائد أخرى اعظم واجل . وما قوله عن هذه الشجرة يصح في كثير غيرها . فن ذلك انه يؤخذ على الفلاحة اللبانية قلة اهتمام اصحابها بتربية المراسي

ومن المعلوم ان الجبال انب الى ذلك من سواها لاسيّا انه يلحق برعية المراسي اعمال اخرى يرتقون بها كبيع اللحم واصطناع الجبن والحليب والزبدة واللبن . وما السبب في قلة تهامل اهل لبنان لتربية المراسي الا قلة المراسي والاعشاب فان بعض الامكنة قاحلة جرداء . لا تجد فيها الطرش لما طأ طول السنة وفي غيرها تحل التربة في فصل الصيف وتيس المراسي . فلاي سبب لا يزرع الصبر الذي ينبت في اي تربة كانت وهو يثبت على اشتداد الحر

ولكي يمكن الاتساع بهذا النبات لا بد من ترع شوكه عنه . والاولى ان يفرس ضرب آخر منه لا شوك له . واعلم ان ثمره ولاسيما اوراقه (الواحة) الضخمة المكتزة من احسن ما يعلف به الحيوان . وبعض الزارعين يرونه شيباً بالجزر بل افضل منه لقوت المراسي . والجزر كما لا يخفى يتخذ في اوربة كملوقة الأتام . والصبر اذا غرس وطلع يقضب في سنة الثالثة او في الرابعة وهو انب . فاذا اتى على غرسه ست سنوات اتى بثمره وبقي نامياً الى السنة الاربعين فيحينذ تشذب ساقه فيعود وينمو جديداً . ومجموع ما يستغل منه كل ستين بين ٣٠٠٠٠ الى ٣٥٠٠٠ كيلوغرام من العلف في كل هكتار

وليس الرأي هنا ان ترع الاراضي الطيبة بالتين الشوكي بل الاراضي البور فقط التي لا تصلح لتير ذلك من الزردعات وان يفرس منه ثلاثة او اربعة صفوف حول البساتين والاملاك الواسعة بدلاً من اكوام الحجارة التي تقوم في وجه السابلة واذا احتاج الناس الى علف للماشية في بعض السنين التجأوا الى هذه المؤونة القريبة النال (١) ويوجد غير ذلك من الاشجار التي تؤدي لاصحابها خدماً مشكورة منها شجرة الحروب الذي ينبت من نفسه في لبنان (٢) وكان هذا الشجر كثيراً في لبنان حتى لن

(١) راجع كتاب الاديب ودبع مدور في فلاحة سورية (ص ٢٦٤)

(٢) كتاب جوره (ص ٢٥١)

اقليم الخروب دُعِيَ بِهِ (١) أما اليوم فلا يرى منه في لبنان الأشجار متفرقة قليلة البسوق مع انه شجر كثير المنافع في تلك الجهات . وما يقال عن اقليم الخروب يصح في بنية اقليم لبنان فان مديرية البترون كما يشهد على ذلك المعنرون من الشيوخ كانت غنية بهذا الشجر قبل نصف القرن وازكثه اليوم قد قطع وتلف فلم يسع الاهلين ان يتبدلوا تلك الاراضي البائرة باغراس غيره . وهذا المثل يبين للقراء ان الفلاحة اللبنانية اذا ما قصرت في بعض الاحيان عن الترتي والتحصين ربما سهدت ايضا عن امثال الاقدمين وعدلت عن آثارهم المحمودة . وكان اجدادنا يرفون فضل الخروب ويقدرونه قدره كما يؤخذ من هذا النص الذي سطره الشريف الادريسي في كتابه عن الناعمة التي هي اليوم قرية حقيفة قال (٢) :

« والناعمة مدينة حسنة واكثر نبات ارضها الخروب الذي لا يعرف في ميمورد الارض مثله قدرا ولا طيبا ومنها يُهزى به الى الشام والى ديار مصر واليا يُنسب الخروب الشامي اما وان كان في الشام كثيرا وطيبا وهو بالناعمة اكثر واطيب »

فهذا الكلام شاهد لامع على ان الخروب كان متوقفا في الاقليم الذي دُعِيَ باسمه وان زراعته كانت معدودة كاحد مراتق لبنان الجنوبي فيا ربناك الله ماذا يتبع من ان يعود الاهلون الى توفير اغراسه لاسيما انه يأتي عفوا في كل الامكنة القاحلة ولا يحتاج الى عناية خاصة كما ان قلة الامطار او كثرتها لا تؤثر فيه والبستانيون بغرس هذا الشجر لا يصيدون فقط لجيلهم بعض نضارته بل يرتفون ايضا بمحاصيله كما كان الامر في عهد الادريسي

ومما يزيد الخروب نفعا ان ثمره سكري وقد اثبت الذين يستون بنظارة المواشي ان العلف اتفق للاضام اذا دخل فيه السكر . وقد عرف قدماء العيرانيين منفعة فاطعموه الحزازير (راجع انجيل القديس لوقا ١٥: ٦٠ وكتاب التلمود) وغيرها من الراعية . وبه ايضا علف اليونان والرومان مواسيهم . واليوم يدخل فرنسا في كل سنة ١٩,٠٠٠ طن من الخروب لحاجاتها وهذه الكمية تقسمة فرنسا من بلاد شتى ولا تعيدها الجزائر

(١) وهو اسم قديم ورد ذكره في كتاب شمس الدين الدمشقي (ص ٢٠٠) وفي تاريخ

بيروت لصالح بن يحيى (ص ٨٨)

(٢) راجع وصف بلاد الشام للادريسي ص ١٦ (ed. Gildemeister)

منه سوى الف الى التني طنّ. ومحمول الخرنوب يختلف على حسب عمر الشجرة وحسبها ومداراتها فيجني من الشجرة ستويًا بين ٢٥٠ كياوغرامًا الى ١٠٠٠ ك من الشر يساري ثمنها من ١٠ فرنكات الى ٤٠ ف. وفي هذه الاعداد دليل ظاهر على فوائد غرس هذه الشجرة التي لا تطلب عناية كبيرة. وان لم يقصد الاهلون منها الربح يبيع ثمرها الا انهم يجدون فيها منافع غيرها كرية المواشي. وثمرها كما سبق من افضل عُلف الدواب يقرم مقام غيره من التُجوع الذي يندر في بعض المواطن. وقد حظ الاجانب فضله فصاروا يتلون عليه اقبالًا يزيد مع الاعوام وهم يستعملونه في الصباغة وفي عمل الكر ويعلقون به انعامهم. والبعض منهم يختصون حبوته فيجعلونها بدلًا من القهوة (١). وكذلك خشب صلب مسط يصبر على الزمان دهرًا طويلًا فيرغب فيه لذلك. وغاية ما يؤخذ على الخرنوب انه كالزيتون لا يأتي بشره قبل ستة العاشرة. لكن هذه الصعوبة ليس من شأنها ان تمنع من غرسه. ومن نظر الى الربح العاجل فقد المكاسب الطائفة الآجلة (٢) ويوجد غير ذلك من النباتات التي تصلح للاراضي اليابسة نذكر منها شجر التين واللوز. ومن المعلوم ان ١٠٠ كيلو من التين اليابس ربيًا يمت بانه فرنك اللهم اذا كان التين من الجنس الحسن وجعل في عُلب مكبوسًا كما يصنع اهل ازمير وهو من اكبر موارد الرزق لديهم (راجع المشرق ٧: ١٠٦٠) فلو صرفنا النظر الى اثمارنا لتحين اجناسها وتهيتها لزادت الرغبة فيها وأجدت باعها نفعا عظيمًا اما اللوز فهو من الاشجار الوطنية (٣) التي لا يُنكر فضلها. وزراعتها اسهل من سواها في لبنان لان شجر اللوز كالزيتون واكثر منه ينمو في الاراضي القاحلة والتربة الكلسية ومعظم لبنان تركيبه من هذا الصنف. ثم ان هذا الشجر لا يقتضي عناية خصوصية وثمره يبلغ في الشجرة من ١٥ كيلوغرامًا الى ١٠٠ ك ويبيع باسعار حسنة فان مئة كيلومتره يُدفع فيها من ٤٠ الى ١٢٠ فرنكًا على حسب اختلاف الاجناس فيكون معدل محصول الشجرة بين ستة فرنكات وستين فرنكًا. وهذا ما ساق الشركات

(١) راجع معجم التوراة للاب فيكور على لفظة « خرنوب » (ج ٢ ص ٢٠٨)

(٢) ومن اراد غير ذلك في هذا الصدد فليج بكتاب الاديب ودع مدور (ص ٢١٢، ٢٦٥،

الاسرائيلية في سواحل يافا الى ان تُكثّر من انصاب اللوز فيقوم منه غابات في بعض حدائقها . ومن خواص ثمر اللوز ان تهيته لا تستاعي شغلا لنقله وهو يبقى زمنا طويلا

وليس الامر كذلك في زراعة اشجار غيرها التي تزارع بعض الاهلين الى غرسها كالليون مثلا (١) فكل يعرف فضل ليون صيدا . على البرتقال اليافوي وكثرة ما ينبت وطيب طعمه الا ان برتقال يافا اروج سوقا عند الانكليز . والسبب ان ثمر يافا اغلظ قشرة فيبلغ انكثرة وهو على حسن حاله بخلاف الليمون الصيداوي الذي يفسد في الطريق فيذهب رونقه . ولعل لهذا الداء دواء وهو ان يخصص الصيداويون قسما من جناتهم الغناء . للشكل اليافوي فيصدرون هذا الصنف للبلاد الاجنبية اما البلاد المجاورة او المتصلة بخطوط نظامية كصر وسواحل الشام والاساتنة الطيبة وجنوبي روسية فيزودونها باسكالهم الوطنية الطيبة لاسيا ان تربة صيدا . تصلح لكل ضرب البرتقال ولاجناسه المختلفة . والمهم ان لا يجري الاهلون على مالوف عاداتهم الخلة لأن ملازمة الطريقة الواحدة تؤدي بهم الى خسائر جسيمة . ألا ترى مثلاً ان بعض المراكب قطعت سيرها الى صيدا . وكانت قبل اربع سنوات في فصل الامطار تمر بها لنقل محصولاتها . فلما رأت كساد سوق ليمونها كفت عن المحي اليها

ومن الزراعات النافعة الخطيرة الشأن شجر الشمس واشهر اصنافه صنفان معتبران وهما الشمس الكلابي تكون نواته مرة وللشمس اللوزي حلو النواة . وهذا الصنف هو الافقر والالذ والفرق بينهما من حيث الثمن بعيد جدا الا ان رغبة الفلاحين في الصنف الاول اعظم . وما هو ياترى سبب ذلك ؟ فانه انتشار الشمس اللوزي . ولو اراد الزراع لامكثهم توفير الجنس النازل بصيلة صغيرة سهلة جدا

*

ومجمل القول ان الفلاحة البنائية لم تنهض حتى الان من خولها . وكثيرا ما نحمل الشكاوى على الطبيعة او تركيب التربة او العناية الصمدانية ولو كنا من ذوي الانصاف لشكرونا سهونا وغفلتنا . نعم انه لا يمكن استغلال الجيوب والبزور من اراض حجرية او ماحلة . ولكن ما لنا لا نوجه هممتنا الى اصناف شتى . ترى اكثر اهل لبنان

(١) راجع في المشرق (٢٨١:٦) مقالة الاديب توما افندي كيال في برتقال صيدا .

لا يهتنون ألبالتوت ويكتفون بنفسه فقط كأنهم لا يجدون في سواه من الاشجار ما يقرم بجاجاتهم او لا يوجههم ارباحاً مثله وادفر منه لاسيا ان بعضها لا يتخفي كالتوت فلامنة كبيرة ولا ابتنا. سافات وسطوح تراب فاذا كان لدى الاهلين اصناف مختلفة زادت ايضاً ماتهم وآمالهم. وعلى فرض ان صنفاً منها في بعض السنين لم يأت بالارباح المأولة استاضوا عنها بما يجدونه في غيره. وكذلك يتم التلاحون شغلهم على كل فصل السنة ولا يدعون قطعة من ارزاقهم دون فائدة

هذا وان قولنا السابق مبني كله على العلوم التاريخية والجغرافية والاقتصادية وذلك لا يمنع صرف النظر الى خبرة ارباب الزراعة ومراجعة الكتب الخاصة التي صنفها العلماء. في هذا الشأن مكررين التساء خصوصاً على التأليف الذي وضعه اكتاب الضليع وديع افندي مدور وقد استفدنا منه لتطير هذا النظر في الفلاحة السورية. وتسنّى ان يعرب قريباً لقوائده

مطبوعات شرقية جديدة

F. Martin: Textes religieux assyriens et babyloniens. Transcription, traduction et commentaire. 1^{re} Série, 8°, XXX+336 pp., Paris, Letouzey, 1903.

نصوص دينية للاشوريين والبابليين

مدار هذا الكتاب الذي بلغنا منه القسم الأول على مجموع صفايح مسارية وردت فيها نصوص دينية كان نشرها العلامة كريغ (J. Craig: *Assyrian and babylonian religious texts*, 1895-1897) فاخترها حضرة الاب ف. مرتين مدرس اللغات الشرقية في كلية باريس اكاثوليكية كندستور لدراسة الآداب الاشورية. والاب الروما اليه كان سابقاً كتب مقالة مطولة في هذه النصوص واهميتها وهو يعرف ما تحتويه من الاساليب الكتابية المختلفة والماني الحسنه ولم يكتف باتخاذها ككتيبة ملحق مستترقة بل اضاف اليها صورة لفظها بحرف اوربي وألحقها بترجمة افرنسية وتفسير مفيدة وجدناها في الغالب صوابية (١) رغماً عما يجوز دون شرحها من العقبات

(١) في الصفحة ٢٢ قد قابل الجامع بين اللفظة البابلية كنيصي (Kinsie) والريية « قيص »

وفي هذه المناقبة بعض التصف لاسيا ان التص لا يستدي متى الالبة